

دراسة لغوية نقدية مقارنة لمدحتين عند الأعشى الكبير والنايعة الشيباني

د. فاطمة محمد أمين العمري / د. أفنان عبدالفتاح النجار / د. بسمة أحمد صدقي الدجاني

دراسة لغوية نقدية مقارنة لمدحتين عند الأعشى الكبير والنايعة الشيباني

د. فاطمة محمد أمين العمري
الجامعة الأردنية
د. بسمة أحمد صدقي الدجاني
الجامعة الأردنية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة :

يتناول هذا البحث قصيدة (ما بكاء الكبير بالأطلال) للأعشى الكبير، وقصيدة (بان الخليط) للنايعة الشيباني بالدراسة والتحليل والمقارنة في المضمون والموضوعات والأسلوب، وما استخدمه كل من الشعارين من معانٍ خاصة وعمامة في سياق المدح، بالإضافة إلى محاولة الولوج إلى خصوصية كل منهما في التعبير عن فكره باختيار اللفظ والتركيب من خلال دراسة فنية تستأنس بشيء من المنهج الأسلوبي في الدراسات الأدبية.

ويقدم البحث بين يدي القصيدتين نبذة مختصرة عن الشعارين ولمحة سريعة عن فن المديح في الشعر العربي معتمدة في ذلك على قدر يسير من المراجع العربية بالإضافة إلى دواوين الشعراء، ثم ينتهي منها إلى خاتمة تبين أهم ما توصلت إليه.

الأعشى

صناجة العرب^(١) أعشى قيس، المعروف بالأعشى الأكبر أبو بصير، ميمون بن جندل بن عوف ابن سعد من قيس بن ثعلبة من بكر بن وائل من ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان^(٢)، شاعر جاهلي مات ولم يُسلم، وقد اختلف في نصرانيته^(٣). وهو شاعر غزلٍ اشتهر بغزله الصريح وخمرياته ولهوه وطلبه للملذات التي أنفقت ماله وجعلته في حاجة دائمة. فرحل

في طلب المال وطاف بلاد الشام والعراق واليمن قاصداً الملوك والأشراف طامحاً في عطاياهم حتى اشتهر في المديح فصارت العرب تصيِّفه وتهاديه ليمدحها ويُطَيِّر ذكرها.^(٤) والقصيدة التي تتصدى لها هذه الدراسة، إحدى مدائحه في الأسود بن يعفر أخي النعمان بن المنذر ملك الحيرة ومطلعها:

ما بُكاء الكبير بالأطلال وسؤالي فهل تردُّ سؤالي

وهي قصيدة مطولة من أجود شعره، وقع الاختيار عليها لتقاطعها مع قصيدة النابغة في مواطن كثيرة علاوة على اشتراكها في فن المديح.

النابغة

نابغة بني شيبان، عبد الله بن المخارق بن سليم بن حصرة بن قيس بن سنان بن حماد بن جديلة بن أسد ابن ربيعة بن نزار.^(٥) والنابغة شاعر أمويّ، عالِم مختلف الموضوعات الشعرية في قصائده، وغزله عفيف بعيد عن التفحش، دفعته ظروف الحياة، والمذهب السياسي إلى المديح؛ فطاف بين الموضوعات الشعرية المتعددة سائراً على نهج القدماء وصولاً إلى المديح. نجد في بعض شعره ميلاً إلى الزهد، مع عناية في اختيار الألفاظ وتجويد للشعر.^(٦) والقصيدة التي تتناولها الدراسة إحدى مدائحه في يزيد بن عبد الملك بن مروان، ومطلعها:

بانَ الخليط فشطوا بالرعابيب وهنَّ يؤنن بعد الحسن بالطيب

وهي قصيدة مطولة، وقع الاختيار عليها لما فيها من فن جميل، وتلاق مع مدحة الأعشى في كثير من المواطن.

دراسة لغوية نقدية مقارنة لمدحتين عند الأعشى الكبير والنابغة الشيباني

د. فاطمة محمد أمين العمري / د. أفنان عبدالفتاح النجار / د. بسمة أحمد صدقي الدجاني

بين الشاعرين

لعله من اللطيف أن نتحدث عما بين الشاعرين من سماتٍ مشتركة، فكلاهما يحمل لقبًا بالتشارك مع آخرين فالأعشى واحدٌ من كثر، والنابغة كذلك.

كما اقترب كلاهما من النصرانية، فقد اختلف في نصرانية الأعشى، وكانت أم النابغة نصرانية.^(٧)

كما وفد كلاهما على الملوك والأشراف مادحًا، فقد وفد الأعشى على كسرى والنعمان بن المنذر وأخيه الأسود، والسموأل، وقيس بن معد يكرب الكندي وغيرهم كثيرين،^(٨) ووفد النابغة على خلفاء بني مروان فمدح عبد الملك وابنه يزيد.

غير أن الأعشى الجاهلي حظي بكثير من الذكر والاهتمام اللذين حُرِمَ منهما نابغة بني شيبان الأموي.

في المديح

رافق المديحُ القصيدةَ العربية، وسار معها في رحلتها الطويلة من جاهليتها إلى عصرنا الحاضر، فقد عبّر الشاعر العربي عن الموجودات الكونية، والمظاهر الطبيعية للحياة وناجى الآخر على المستوى الإنساني العام بكل ما اعترى العلاقة بينهما من مشاعر وحدّدها من ظروف. فأنشأ مُجَبِّغًا غَزَلًا وواضعًا متأملًا، وراثيًا حَزَنًا، وفاخرًا مَرَهَوًّا، وهاجياً مؤلِّمًا ومادحًا مُبَجِّلاً يرتفع بممدوحه إلى علياء المجد، وقمة الرقيِّ الأخلاقي والحضاري، فالممدوح هو الشجاع الذي لا يهزم والكريم الذي لا يطاول والشريف الخالص النسب، وغيرها من الصفات التي توجد في الممدوحين حقيقة لكن الشاعر يتفنن في إظهارها حتى إذا مرت العصور حَمَلت المدحة معانٍ جديدة من مفزات الدين الجديد والثقافة الحادثة والحضارة العمرانية والإنسانية فانمازت المدائح بمعانٍ خاصة لكنها لم تخرج عن إطارها العام واحتفظت بالمعاني والصور الإنسانية السامية التي لا تملك الحضارات - مهما تعددت - نَسَخَهَا.

قصيدة الأعشى

ما بكاء الكبير بالأطلال
 دمنة فقرة تعاورها الصبي
 لات هنا ذكرى جيرة أو من
 حل أهلي بطن الغميس فبادو
 ترتعي السفح، فالكثيب، فذاقا
 رب خرقي من دونها يخرس السف
 وسقاء يوكى على تاق المل
 وادلج بعد المنام، وتهجيه
 وقليب أجن كأن من الرب
 فلن شط بي المزار لقد أغ
 إذ هي الهم والحديث، وإذ تغ
 ظبية من طباء وجره أذما
 حرة طفلة الأنامل، ترتد
 وكان السموط عكفها السد
 وكان الخمر العتيق من الإسفند
 باكرتها الأغرأب في سنة التو
 فاذهبى ما إليك أدركني الجلد
 وعسير أدماء حادرة العي
 من سراة الهجان، صلها الع

وسؤالي فهل ترد سؤالي
 ف يريحين من صبا وشمالي
 جاء منها بطائف الأحوال
 لي، وحلت علوية بالسخال
 ر، فروض القطا فذات الرئال
 ر، وميل يفضي إلى أميال
 ء، وسير ومستقى أوشال
 ر، وقف وسبسب ودمال
 ش بأرجائه لقوط نصال
 بدو قليل الهموم ناعم بال
 صي إلى الأمير ذا الأقوال
 ء، تسف الكبات تحت الهدال
 ب سحاما، تكفه بخلال
 لك بعطفي جنداء أم غزال
 ط ممزوجة بماء زلال
 م فتجري خلال شوك السيال
 م، عداني عن ذكركم أشغالي
 ن، حنوف غيرانة شمالي
 ض ودعي الحمى وطول الحيال

لم تَعَطَّفَ على حُورٍ، ولم يَفِّ	طَعَّ غُبيدٌ عُرُقَها من حُمالِ
قَدْ تَعَلَّثُها على نَكْظِ المَيِّ	طِ، وَقَدْ حَبَّ لاقِعاتِ الآلِ
فوقَ دَيُّومَةٍ تَعَوَّلُ بالسَّنِّ	رِ قَفارٍ إلا مِنِ الآجالِ
وإذا ما الضلالُ خِيفَ وكانَ الـ	ورُدُّ حَمَسًا يَرْجُونَهُ عَن لِيالِ
واستُحِثَّ المَغَيِّرونَ مِنَ القَوِّ	م وكانَ النِّطافُ ما في العَرالِ
مَرَحَتْ حُرَّةٌ كَقَنْظَرَةِ الرُّوِّ	سَيِّ تُفَرِّي الهَجِيرَ بالإِرْقَالِ
تَقْطَعُ الأَقْفَرَ المُكوكِبَ وحَدًّا	بنِواجِ سَريعَةٍ الإِيعالِ
عَن تَريسٍ، تَعَدُو إذا مَسَّها السَّوِّ	طُ، كَعَدُو المُصَلِّصِ الجِوَالِ
لأَحَه الصَّيْفُ والصَّيَالُ وإِشْفَا	قُّ على صَعَدَةٍ كَقُوسِ الصَّالِ
مُلِمِعٍ لآعَةِ الفِؤادِ إلى جَحِّ	شِ، فَلَاهُ عَناها فَبَسَّ الفَالي
ذو أذاةٍ على الخَلِيطِ، خَبِيثُ الـ	نَفْسِ، يَرْمِي مَراغَهُ بالنُّسَالِ
غادَرَ الجَحَشَ في العُبارِ، وَعَدًّا	ها حَشيئًا لِصُورَةِ الأُدْحالِ
ذاكَ شَبَّهْتُ ناقَتِي عَن يَمِينِ الـ	سَريعِ، بَعْدَ الكالِ والإِعمالِ
وتَراها تَشكو إِلَيَّ، وَقَدْ آ	لَتَ طَلِيحًا تُحذِي صُدورَ النِّعالِ
نَقَبَ الحُفِّ لِلسُّرى، فَتَرى الأذ	ساعَ مِن حِلِّ ساعَةٍ وارْتِحالِ
أَثَرَتْ في حَباجِنِ كِارانِ الـ	سَمِيتِ، عُولِينَ فَوْقَ عُوجِ رِسالِ
لا تَشكِّي إِلَيَّ وانْتَجِعي الأَسـ	وَدَ أهلِ الندى، وأهلِ الفِعالِ
فَرَعٌ نَبِعٍ يَهْتَرُّ في عُصْنِ المَجـ	بِ غَزيزِ الندى شَديدُ المِحالِ
عِنْدَهُ الحَزْمُ والتَّقَى وأَسا الصَّرِّ	عِ، وَحَمَلٌ لِمُضَلِّعِ الأَثقالِ
وَصِلاتُ الأَرْحامِ قد عَلِمَ النَّا	سُ، وَقَلْتُ الأَسرى مِنَ الأَغلالِ
وهَوانُ النَّفْسِ العَزيزَةِ لِلذِّكِّ	رِ، إذا ما التَّقَمْتُ صُدورُ العِوالي

رَةٌ كَانَتْ عَطِيَّةَ الْبَيْحَالِ	وَعَطَاءٌ إِذَا سَأَلْتَ، إِذَا الْعِدُّ
تُ حِبَالٌ وَصَلَتْهَا بِحِبَالِ	وَوَفَاءٌ، إِذَا أُجِزَتْ، فَمَا غُرَّ
مُ زَكُودًا، قِيَامَهُمْ لِلْهِلالِ	أَرِيحِيٌّ، صَلَّتْ، يَظَلُّ لَهُ الْقَوُّ
طِ جَزِيلاً، فَإِنَّهُ لَا يُبَالِي	إِنْ يُعَاقَبُ يَكُنْ غَرَامًا، وَإِنْ يُعَى
تَانٍ تَخْنُو لِدَرْدَقِ أَطْفَالِ	يَهَبُ الْجَلَّةَ الْجَرَاجِرَ، كَالْبَسِّ
رِيحٍ وَالشَّرْعِيَّ ذَا الْأَذْيَالِ	وَالْبَغَايَا يَرْكُضُنْ أَكْسِيَةَ الْإِضْ
حَطِّ، تَعْدُو بِشِكَّةِ الْأَبْطَالِ	وَجِيادًا كَأَنَّهَا قُضِبُ الشَّوِّ
ةِ وَالضَّافِرَاتِ تَحْتَ الرِّجَالِ	وَالْمَكَائِكِ وَالصَّحَافِ مِنَ الْفَضِّ
رِ، وَحَيِّ سَقَاهُمْ بِسِجَالِ	رُبِّ حَيِّ أَشْقَاهُمْ آخِرَ الدَّهْرِ
رَتْ فِيهَا إِذْ قَلَّصَتْ عَنِ حِيَالِ	وَلَقَدْ شُبَّتِ الْخُرُوبُ فَمَا غَمَّ
طَيْتَ نِعَالًا مَحْدُودَةً بِمِثَالِ	هُوَلَى ثُمَّ هُوَلَى كُلاًَّ أَعَى
لَاءً، وَكَعَبُ الَّذِي يُطِغُّكَ غَالِي	فَأَرَى مَنْ عَصَاكَ أَصْبَحَ مَخْدُودُ
مَ إِذَا مَا كَبَّتْ وَجُوهُ الرِّجَالِ	أَنْتَ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ أَلْفٍ مِنَ الْقَوِّ
ةِ، تَأْبَى حُكُومَةَ الْمُفْتَالِ	وَلِمِثْلِ الَّذِي جَمَعَتْ مِنَ الْعَدِّ
سَادَاتِ أَهْلِ الْقِبَابِ وَالْآكَالِ	جُنْدُكَ التَّالِدِ الْعَتِيقِ مِنَ الْإِ
جَا وَلَا عُزْلٍ وَلَا أَكْفَالِ	غَيْرِ مِيلٍ وَلَا عَوَاوِيرَ فِي الْهَيْ
بِ وَسوقٍ يُحْمَلْنَ فَوْقَ الْجِمَالِ	وَدُرُوعٍ مِنْ نَسِجِ دَاوُدَ فِي الْحَرِّ
سِرَّةٍ مِنْ خَشْيَةِ التَّدْيِ وَالطَّلَالِ	مُلْبَسَاتٍ مِثْلَ الرَّمَادِ مِنَ الْكُرِّ
لِقِتَالِ الْعَدُوِّ يَوْمَ الْقِتَالِ	لَمْ يُبَسِّرَنَّ لِلصَّدِيقِ، وَلَكِنْ
مَدَّهْرٍ، لَا مُسْنَدٍ وَلَا زَمَالِ	لَا مَرِيٍّ يَجْعَلُ الْأَدَاةَ لِرَيْبِ الْإِ
لِ، رِفَاقًا غَدَاةً غَبَّ الصَّقَالِ	كُلَّ عَامٍ يَقُودُ خَيْالًا إِلَى خَيْ

دراسة لغوية نقدية مقارنة لمدحتين عند الأعشى الكبير والنابعة الشيباني

د. فاطمة محمد أمين العمري / د. أفنان عبدالفتاح النجار / د. بسمة أحمد صدقي الدجاني

هُوَ دَانَ الرَّيَابَ، إِذْ كَرِهُوا الـ	مَدِينِ دِرَاكًا بَغْزَوَةً وَصِيَالِ
ثُمَّ أَسْقَاهُمْ عَلَى نَفْدِ الْعِي	شِ فَارَوْى ذُنُوبَ رِفْدٍ مُحَالِ
فَنَحْمَةً يَلْجَأُ الْمُضَافُ إِلَيْهَا،	وَرِعَالًا مَوْصُولَةً بِرِعَالِ
تُخْرِجُ الشَّيْخَ مِنْ بَنِيهِ وَتُلْوِي	بِكُبُونِ الْمِعْرَابَةِ الْمَعْرَالِ
ثُمَّ دَانَتْ بَعْدَ الرَّيَابِ، وَكَانَتْ	كَعَذَابِ عُقُوبَةِ الْأَقْوَالِ
عَنْ تَمَنٍّ وَطُولِ حَبْسٍ وَتَجْمِي	عِ شَتَاتٍ، وَدِخْلَةٍ وَاحْتِمَالِ
مِنْ نَوَاصِي دُودَانَ إِذْ كَرِهُوا الـ	بِأَسِّ وَذُبْيَانِ وَالْهَجَانِ الْغَوَالِي
ثُمَّ وَصَلَتْ صِرَّةً بَرِيْعٍ،	حِينَ صَرَفَتْ حَالَةً عَنْ حَالِ
رُبِّ رِفْدٍ هَرَفْتَهُ ذَلِكَ الْيَوْمِ	مَ وَأَسْرَى مِنْ مَعْشَرِ أَقْتَالِ
وَشُيُوخِ حَرْبِي بِشَطِي أَرِيكِ،	وَنَسَاءِ كَأَنَّهُنَّ السَّعَالِي
وَشَرِيكِينَ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْمَا	لِ، وَكَانَا مُحَالَفِي إِقْلَالِ
قَسَمَا الطَّارِفَ التَّلِيدَ مِنَ الْعُدِّ	حِمِّ، فَأَبَا كَلَاهُمَا ذُو مَالِ
لَنْ تَرَالُوا كَذَلِكَكُمْ، ثُمَّ لَازَهُدْ	مَتَ لَهُمْ خَالِدًا خُلُودُ الْجَبَالِ

مضمون قصيدة الأعشى :

تقع القصيدة في خمسة وسبعين بيتًا، وتقوم على أربعة موضوعات؛ إذ يبدأ الشاعر بالحديث عن الأطلال التي يرى الوقوف بها أمرًا غير مُجدٍ فيبعد الذكرى عن نفسه، إذ ليس هذا موطنها فأهله يعيشون في مكان والمحبوبة في مكانٍ آخر، وبينهما مسافاتٌ طويلة وسفر شاق في الليل والنهار، وهو يُرحبُ بهذا البعد إذ قلَّ هَمُّه وأنعم بالله فقد كانت المحبوبة هَمِّه وحديثه. ومن هذا الهم ينتقل إلى موضوعه الثاني في الغزل ووصف المحبوبة التي يراها طيبة، صافية الأديم، بضة الأنامل مفتلة الشعر، ذات قلائد ريقها كالخمر وقد داعب النوم جفونها. وفي غمرة وصفه للمحبوبة ينتقل إلى موضوعه الثالث الذي يشغله ليتحدث عن ناقته الشديدة النشطة التي يراها من أحسن النوق وأصلبها، تسيير فوق الفلاة المقفرة ويزيد نشاطها في

الوقت الذي يستبدل فيه الناس أرْحُلَهُم المتعبة، إذ تعدو بخطى واسعة سريعة بعد ضربها بالسوط كعدو حمار الوحش الذي أهزله الصيف فصار ناحلاً وقد ظهر حَمْلُهُ. هذه الناقة تشكو إلى الأعشى الإجهاد والألم فيرفض سماع شكواها، ويصرفها لتشتكي إلى من هو أهل لذلك (الأسود بن يعفر) لينتقل إلى الغرض الرابع في قصيدته ويستقر فيه مادحاً مُكَبِّراً للممدوحه ماداً في ذكر الصفات الكريمة فهذا الممدوح أهل الكرم والشجاعة عريقٌ في المجد يجمع بين الحزم والحذر ويصل الأرحام، ويفك الأسرى، نفسه العزيزة تهون عليه في سبيل المجد، وإذا سُئِلَ أعطى بسخاءٍ من الإبل الضخمة، والإماء، والجياد السريعة، وكؤوس الخمر وآنية الفضة. وهذا الممدوح الكريم كم أسعد أقواماً نالتهم نعمته وأشقى أقواماً أصابتهم عقوبته إلى آخر الدهر. فقد شبت حروب كثيرة لم يخسر فيها وأوقع بأعدائه. فليمن عصاه الخسران ولمن أطاعه العز، إذ هو خير من ألف ألفٍ من القوم إذا اشتدّ الفزع، فقد اجتمع له عدة القتال والجنود العريق الشجعان الذين لا يعترهم الجبن، يلبسون الدروع المحكمة التي لا تصدأ، هذه الجنود لا ينال أذاها الصديق، ويدوق وبالها العدو، تُتخذ لنواب الدهر، وأميرها له كل عام غزوة، فحمل قبيلة الرباب على طاعته وسقاهاهم كأس الموت. فجيته كتيبة ضخمة تحمي المستجير، وتذهل الشيخ عن بنيه، وتُشردُّ الإبل حتى لا تجد قبيلة الرباب بُدّاً من الطاعة بعد ما أصابها من عذاب الملوك وقد كانت قد أعدت للقاء الأسود وجنوده، ولم تقف سطوة (الأسود) عند الرباب، بل جاوزها إلى غيرها ممن كرهوا القتال فبدلهم (الأسود) حالاً من بعد حال فقتل منهم وأسر وشرد النساء وأخرج الشيخ عما يملكون، فصار الرجال الفقراء من جنود (الأسود) أغنياء بعد اقتسام الغنائم وسبقتي (الأسود) وجنده مظفرين ويبقى لهم (الأسود) خالدًا خلود الجبال.

قصيدة النابغة

وهنَّ يُؤبِنَنَّ بعدَ الحُسنِ بالطَّيبِ	بانَ الخليطُ فشطُّوا بالرَّعائِبِ
وأورثوا القلبَ صدعًا غيرَ مشعوبِ	فهيَّجوا الشوقَ إذ حَفَّتْ نعامُهم
لم يُنظروك سراعًا نحو "ملحوبِ"	فهم حزائقُ ساروا نيةً قُدفاً
وهم ذوو زَجَلٍ عالٍ وتطريبِ	تَبُّوا القرنيةَ فانصاعَ الحداةُ بهم

دراسة لغوية نقدية مقارنة لمدحتين عند الأعشى الكبير والنابعة الشيباني

د. فاطمة محمد أمين العمري / د. أفنان عبدالفتاح النجار / د. بسمة أحمد صدقي الدجاني

منهُ أراجيزُ تُرقي العيسَ إذ حُديت	وفي المزامير أصوات الصلابيب
والعيسُ منه كأنَّ الدُّعر خالطها	أو نالها طائفٌ من ذي المخالبِ
زانَ السدولَ عليها الرِّقمُ إذ حُديتْ	بكلِّ زوجٍ من الدِّياجِ محجوبِ
وفي الهوادجِ أبكارٌ مُنعمَةٌ	مثلُ الدُّمى هجِنَ شوقًا في المحارِبِ
كأنَّها كلُّما ابتزَّت مبادلها	دُرُّ "بدارين" صافٍ غيرِ مثقوبِ
لها سوالفُ غزلانٍ وأوجُهها	مثلُ الدنانيرِ حُرَّاتُ الأشانِبِ
كأنما الذهبُ العقيانُ تجعُله	بين الرُّمردِ أوساطُ اليعاسيبِ
على نحرٍ كغرقى البيضِ ناعمةٍ	يَعْلَنها بمجاميرٍ وتطيبِ
لها معاصمُ غصَّ اليارقاتُ بها	وفي الخلاخيلِ خَلقٌ غيرُ معصوبِ
تزهو المحاسنُ منها وهي ناعمةٌ	بكلِّ جَنَلٍ غُذافِ اللونِ غريبِ
تُبدى أكفًا تصيدُ العاشقين بها	فها خضيبٌ ومنها غيرُ مخضوبِ
كأنَّ أفواهاها الإغريضُ إذ بَسَمَت	أو أفحوانُ ربيعٍ ذي أهاضيبِ
في روضةٍ من رياضِ الحزنِ ناعمةٍ	تجري الطلالُ عليها بعدَ شُبوبِ
كأنني شاربٌ من ذكروهم ثملٌ	لذَّ يُعلُّ بِخَمَرِ الطاسِ والكُوبِ
أخو ندامى كرامٍ حلَّ ضيفُهم؛	بريَّةٍ باتَ يُسقى غيرَ مسلوبِ
تَدبُّ فيها حُمياها وقد شربوا؛	منها قِطابٌ ومنها غيرُ مقطوبِ
شَرِبُ يُغنونَ والريحانُ بينهم	وكلُّ جَحَلٍ من الخُرطومِ مَسحوبِ
ترى القوائمَ منه وهي سائلةٌ	من كلِّ ذي مُشعرٍ بالقادِ قِربوبِ
تسيلُ أرواحها منها إذا ملئتْ	حتى تُفَرِّغَ في قوتى الأكاوبِ
إنَّ المتاهلَ جَمَّ لنَ تُساعِفنا	منها العذابُ ومنها غيرُ مشروبِ
تحنو إلى كلِّ فنيانٍ أخي عَزَلِ	صوادفٌ عن ذوي الأسنانِ والشيبِ

يَبْلَى الشَّبَابُ وَيَنْفِي الشَّيْبُ بِهِجْتَهُ
 ما يطلب الدهرُ تُدْرِكُهُ مَخَالِبُهُ
 هل من أناسٍ أولي مجدٍ ومأثرةٍ
 حتَّى يُصِيبَ على عَمَدِ خِيَارِهِمْ
 إتي وجدتُ سهامَ الموتِ مَعْدِنُهَا
 مَنْ يَلْقَى بَلْوَى يُنْبَهُ بَعْدَهَا فَرَجٌ
 وبين دَاعٍ إلى رُشْدٍ صحابَتُهُ،
 والعيشُ طُيَّانٍ: طُيِّي ثَرَّ حَالِبُهُ،
 وما طلائِكُ شيئًا لست نائله
 عاتبَ أخاك ولا تُكثِرْ ملامتَه
 وإن عُنيَتَ بمعروفٍ فقلْ حَسَنًا
 لا تَحْمَدَنَّ أمرًا حتَّى تُجَرِّبَهُ
 إن الغلامَ مطيعٌ من يؤدِّبُهُ
 إن السلائقَ في الأخلاقِ غاليةٌ
 وإن رحلتَ إلى مُلْكٍ لتمدحهُ
 وامدح "يزيد" ولا تظهرَ بمدحتِه
 إنَّ البوارخَ لا يحبسَنَ رَحْلَتَهُ
 إنَّ الخليفةَ فرَعٌ حينَ تنسُبُهُ
 ينميه "حرب" و"مروان" وأصلهما
 نماكٌ أربعةٌ كانوا أئِمَّتِنَا
 أعطاك مُلكًا وتقوى أنتَ سائسُهُ

والدهرُ ذو العوصِ يأتي بالأعاجيبِ
 والدهرُ بالوترِ ناجٍ غيرُ مطلوبِ
 إلَّا يَشُدُّ عليهم شَدَّةَ الذَّيْبِ
 بالنافذاتِ من التَّيْلِ المصائبِ
 بكُلِّ حتمٍ من الآجالِ مكتوبِ
 والناسُ بينَ ذوي رُوحٍ ومكروبِ
 وبينَ غاوٍ، وذو مالٍ ومحروبِ
 وطُيِّي جداءٌ ذاوٍ غيرُ محلوبِ
 وسَبَّكَ الناسَ ظُلْمًا غيرَ تعذيبِ
 وُرُزَّ صديقك رسلاً بعدَ تعيبِ
 ولا تهنُ عن ذوي ضغنٍ لتَهيبِ
 ولا تَدَمَّنُهُ من غيرِ تجريبِ
 ولا يطيعك ذو شَيْبٍ لتأديبِ
 فالصَّقرُ لا يُقتنى إلا بتدريبِ
 فارحلَ بشعرٍ نقيٍّ غيرِ مخشوبِ
 وقد أوائلها قوداً بتشيبِ
 ولا يعوخُ بأصواتِ الغرايبِ
 من الأعاصي هيجانٌ خيرٌ منسوبِ
 إلى جراثيمٍ مجدٍ غيرِ مأشوبِ
 فكان مُلككُ حقًّا ليس بالخوبِ
 بعدَ الفضائلِ من أوحى إلى التوبِ

يُنْمِي إِلَى الْأَبْطَحِيَّاتِ الْمَصَاعِبِ	كَالْبَدْرِ أْبْلُجُ عَالِي الْهَمِّ مُخْتَلِقٌ
تَلَكَّ الْمَخَاصِبُ أَبْنَاءَ الْمَخَاصِبِ	بَحْرٌ نَمْتُهُ بُحُورٌ غَيْرُ سَاجِيَةٍ
أَبْنَاءَ "مَكَّةَ" لَيْسُوا بِالْأَعَارِبِ	قَوْمٌ "بِمَكَّةَ" فِي بَطْحَائِهَا وُلِدُوا؛
بِكَلِّ أَصِيدَ سَامِيِ الطَّرْفِ هُبُوبِ	الْأَكْثَرُونَ إِذَا مَا سَالَ مَوْجُهُمْ
ضَرْبًا طَلْخَفًا وَهَكَّا غَيْرَ تَذْيِيبِ	وَالضَّارِبُونَ مِنَ الْأَبْطَالِ هَامُهُمْ
أَمَّ الْمَلُوكِ بْنِ الْغُرِّ الْمَنَاجِبِ	أَنْتَ ابْنُ "عَاتِكَةَ" الْمَيْمُونِ طَائِرُهَا
جَزِيَّ الْمَحَاضِيرِ حُتَّتْ بِالْكَالِيبِ	إِذَا الْمَلُوكُ جَزَتْ يَوْمًا لِمَكْرَمَةٍ
بَدُّ الْعَنَاجِيحِ سَبَقًا غَيْرَ مَضْرُوبِ	جَزَيْتَ جَزِيَّ عَتِيقٍ لَمْ يَكُنْ وَكَلًّا
يَكْسُو الْجِفَانَ سَدِيقًا مِنْ ذَرَى النِّيبِ	سَهْلُ الْمِبَاءَةِ يَغْفُو النَّاسُ جَمَّتُهُ
عِنْدَ الْمَجَاعَةِ مِنْ لَحْمٍ وَتَرْعِيبِ	حَتَّى تَصُدَّ الْعَوَافِي بَعْدَمَا سَبَقَتْ
إِحْيَاءَ غَيْثٍ بِصُوبِ نَفْسِ حُلْبُوبِ	وَأَنْتَ تُحْيِي فَنَامًا بَعْدَمَا هَمَدَتْ
وَأَجُودُ النَّاسِ جُودًا عِنْدَ تَنْجِيبِ	وَأَنْتَ خَيْرُهُمْ يَوْمًا لِمَخْتَبِطِ
عَوْدٍ يَخُذُ مُتَوْنَ السَّهْلِ وَاللُّوبِ	وَحُجْفَلٍ لَجِبٍ جَمِّ صَوَاهِلُهُ
وَكَلِّ فَحْلٍ طُوالِ الشَّخْصِ يَعْجُوبِ	تَرَى السَّمَاحِجَ فِيهِ وَهِيَ مُسْنَفَةٌ
بِكَلِّ مَطَرِدِ صَدَقِ الْأَنْبِيبِ	يَحْمَلْنَ بَرَّةَ أَبْطَالٍ إِذَا رَكَبُوا
بِكَلِّ فَحِّجٍّ مِنَ الْأَعْدَاءِ مَرْهُوبِ	تَرْدَى بِشَعَثٍ إِذَا ابْتَلَّتْ رَحَائِلُهَا
أَخَذَنَ بِالْقَوْمِ فِي حُضْرٍ وَتَقْرِيبِ	إِنْ سَكَنُوهَا وَشَدُّوا مِنْ أَعْنَتِهَا
جَاشَتْ سَرَاحِيبُ تَبْرِيٍّ لِلْسَرَاحِيبِ	وَإِنْ مَرَّوْهَا بِقَدِّ أَوْ بِأَسْوُفِهِمْ
بِكَلِّ هَوْلٍ عَلَى مَا كَانَ مَرْكُوبِ	يَسْمُو بِهَا وَيَجِيشُ كَالدَّبَا أَشْبِ
يُهَالُ مِنْهَا وَيُغْشَى كُلُّ مَرْعُوبِ	حَتَّى يَفْضُ جَمُوعًا بَعْدَ مَا حُشِدَتْ
وَكَبِشُ صَفِّكَ مَاضٍ غَيْرَ مَعْضُوبِ	لَهُ كَبَاشٌ بَوَاقِ السِّيفِ يَغْضِبُهَا

قَدْ أَحْجَرْتُ بَيْنَ مَقْتُولٍ وَمَحْبُوبٍ	ثُمَّتَ نَاصِتٌ فُلُولًا مِنْ عَدُوِّكُمْ
شَدًّا إِلَى جِيدهِ رِبْطًا بِتَقْصِيبِ	شُدَّتْ يَدَاهُ جَمِيعًا عِنْدَ مَا أَخَذَهُ
زُهَاءَ شَاءٍ مِنْ "الأذري" مَجْلُوبِ	بَلَهَ سُبِّي حَوْتَهَا الْخَيْلُ تَحْسِبُهَا
الْوَى بِهَا الْقَوْمُ، أَصْوَاتُ الْيَعَاقِبِ	كَأَنَّ رَنَاتِ نِسْوَانِ السُّبْيِ، وَقَدْ
نَبِينٌ مَوْهوبَةٌ مِنْهَا وَمَوْهوبِ	عُنْمٌ يَظَلُّ إِمَامُ النَّاسِ يَقْسِمُهَا

مضمون قصيدة النابغة :

تقع القصيدة في ثلاثة وسبعين بيتًا، وتقوم على خمسة موضوعات، إذ يبدأ الشاعر قصيدته بوصف رحلة المحبوبة ووصف مشاعره وقتذاك، إذ هاج شوقه وأورث قلبه جرحًا لا يلتئم بعد رحيل المحبوبة في جمع أهلها إلى مكانٍ بعيد، وقد أخذ رعاة الإبل بالغناء بأصواتٍ عالية تطرب وتستخف الإبل بما يرافقها من صوت المزمارة، فتسرع الإبل كأنها خائفة أو مهددة وقد جملت الأستار الحريرية الموشاة التي تغطي الهودج. ومن هذه الهودج ينتقل إلى موضوعه الثاني في وصف محبوبته والتغزل بها بضمير الجمع فهنَّ أبكارٌ مدللات في الهودج كالتماثيل في دور العبادة وكالدُّرر، عُنفها كعُنق الغزال، صار أصفر اللون من رش العطر المجموع بالزعفران، ووجهها كاللدنانير في لمعانها وكالعسل في نصاعته. ترتدي كثيرًا من الأساور والخلاخيل، ولكنة جمالها يزهو بها الحسن وبشعرها الأسود، أكفها جميلة تستقطب العاشقين وأسنانها بيضاء كالأقحوان، والشاعر بهذا كالشمس لا من مشاهدة المحبوبة بل من تذكرها، وهو بهذا يتخلص إلى موضوعه الثالث في الخمر، فذكر المحبوبة مسكرًا كالكرام الذين يسقون ضيفهم دون حساب خمرا شديدة حادة ممزوجة وغير ممزوجة يشربون ويغنون، وبينهم الريحان والساقية تأتي كل شاب وتصد عن كل ذي شيب. ومن الشباب والشيب يتخلص إلى موضوعه الرابع في الحكمة؛ إذ يذهب الشباب ويأتي الدهر الإنسان بالأعاجيب، وليس هناك من أصحاب المجد من لم يشتد الدهر عليهم كشدة الذئب على الفريسة ليصيدهم بالمصائب، وسهام الموت نافذة، لكن الفرج بعد الضيق والناس يتقبلون في السراء والضراء، وعلى الإنسان ألا يطلب شيئًا ليس له، وعلى الإنسان أن يعاتب صديقه ويزوره غيبًا ويقول الخير ولا يمنعه

دراسة لغوية نقدية مقارنة لمدحتين عند الأعشى الكبير والنابغة الشيباني

د. فاطمة محمد أمين العمري / د. أفنان عبدالفتاح النجار / د. بسمة أحمد صدقي الدجاني

الخوف من رد المخطئين، وعليه ألا يحمد الأشياء ولا يذمّها إلا بعد تجربة، وطباع الأشياء تغلبها وتغلب عليها. وعلى الإنسان إذا أراد أن يمدح ملكًا أن يمدحه بشعر نقي، وهو بهذا ينتقل إلى غرضه الأخير في مديح (يزيد بن عبد الملك) إذ لا يُغفل في مدحه ويزيد لا يثنيه عن عزيمته شيء، كريم النسب ينتمي إلى الأعياص أولاد أمية من قريش وأصله (حرب ومروان) فنسبه صافٍ واضح لا يتداخل، وملكه حق ورثه عن أربعة من الأئمة أعطاه الله إياه بعد الفضائل والأخلاق الكريمة، فهو طلق الوجه عالي الهمة، كالبحر الذي لا يهدأ في حركته وعطائه، وهو كآبائه وأجداده كريم من كرماء ولدوا بمكة وهي موطنهم، وهم شجعان في الحروب وكثيرون يتصيدون لكل ملك مزهو بنفسه، يضربون هامات الأبطال، و(يزيد) أكرم الملوك تطلبه الناس فيطعم ويذبح الإبل حتى تكفي طالبات المعروف في المجاعة، فهذا الكرم منه الناس كالمنظر للدرر في الحجر، وجيش (يزيد) عظيم ذو أصواتٍ مختلفة، وخيله كثيرة الصهيل طويلة سريعة مجهزة مستعدة للحرب، ترحم الأرض بحوافرها، سريعة إذا سكتت وشدت بالأجمعة، وسريعة إذا دُفعت للركض وضربت بالسياط والسيقان، يسمو بها (يزيد) وينتصر إذ فيها يفرق جموع الأعداء، وجيشه ماضٍ يأخذ بمقدم الرؤوس ويهزم الجيوش فتصير بين قتلى وهاربين وأسرى وسايا من الغنائم التي يهبها للناس.

بين القصيدتين - المضمون

نظم الأعشى قصيدته في أربعة موضوعات في حين صممت قصيدة النابغة موضوعاتٍ خمسة، فالقصيدتان ليس فيهما وحدة موضوعية.

يبدأ الأعشى قصيدته رافضًا الوقوف على الأطلال التي لا تجيب، مُسلّمًا بابتعاد المحبوبة ورحيلها بل وراضيًا مرتاحًا لأنه تخلّص من همومه برحيلها؛ إذ يبدو غير مكترثٍ بها وغير مشغول، وهذا قوله:

ما بكاءُ الكبير بالأطلال	وسؤالي فهل تُردُّ سؤالي
دمنةٌ قفرةٌ تعاورها الصبي	فُ بريحين من صبا وشمال
فلئن شطَّ بي المزار لقد أغ	دو قليل الهموم ناعم بال

إذ هي الهمُّ والحديثِ وإذ تع
صبي إليّ الأميرَ ذا الأقوالِ
فأذهبي وإليك أدركني الحد
م عداني عن ذكركم أشغالي
غير أن النابغة يركز على تفاصيل رحلة محبوبته التي يعاني لفراقها وما تركته في قلبه
من جراح لا تلتئم، وهو قوله:

بان الخليطُ فشطوا بالرعايب
وهنّ يؤين بعد الحسن بالطيب
فهيجوا الشوقَ إذ خفت نعامتهم
وأورثوا القلب صدعاً غير مشعوبٍ
فهم حزائق ساروا نيةً قدفاً
لم ينظروك سراعاً نحو ملحوب
فالنابغة أكثر إقبالاً على المحبوبة وإعلاءً من شأنها وشغفاً بها، وهذا مناسب لطيف
في مقام المدح، بخلاف ما نراه عند الأعشى الذي كان عليه أن يكون أكثر اهتماماً بامرأته وهو
في مقام المدح.^٩

أما وصف المحبوبة والتغزل بها فقد جاء صريحاً مباشراً مخصوصاً عند الأعشى فهو
لا يكتفي بذكر اسمها (حبيرة) ومكانها بالتحديد، بل ويزيد فيذكر عصيانها لزوجها من أجله
فيقول:

إذ هي الهمُّ والحديثِ وإذ تع
صبي إليّ الأميرَ ذا الأقوالِ
ظبية من ظباء وجرة أدما
ءُ تَسفُ الكباث تحت الهدالِ
حُرّة طفلة الأنامل تَرّت
بُ سُخامًا تكفُّه بخلالِ
كُ بعطفي جيداء أم غزالِ
وكأن السموط عكفها السد
وط كأن الخمر العتيق من الاسفند
ط ممزوجة بماء زلالِ
م فتجري خلال شوك السيالِ
باكرتها الأغرابُ في سُنّة النو

في حين جاء غزل النابغة عفيفاً وغير مباشرٍ وعمماً، فهو يتحدث عمّن في الهودج من
الأبكار المنعمات بضمير الجمع الذي يستأنس به أحياناً حتى يبدو غزله أشبه بالمرأة المثال،
وهذا متمثل في قوله :

دراسة لغوية نقدية مقارنة لمدحتين عند الأعشى الكبير والنابعة الشيباني

د. فاطمة محمد أمين العمري / د. أفنان عبدالفتاح النجار / د. بسمة أحمد صدقي الدجاني

وفي الهوداج أبكاراً مُنعمَةً	مثلُ الدُمَى هجِنَ شوقاً في المحارِبِ
كأنَّها كلُّما ابتزَّت مبادلها	دُرٌّ "بدارين" صافٍ غيرِ مثقوبِ
لها سِوالفُ غِزْلانٍ وأوجُّهها	مثلُ الدنانيرِ حُرَّاتُ الأشانِبِ
كأنما الذهبُ العِقيانُ تَجعلُهُ	بين الرُّمُردِ أوساطُ العِياسِبِ
على نحوِ كغِرقِي البِيضِ ناعمةٍ	يَعْلُنُّها بمجاميرٍ وتطيبِ
لها مَعاصِمُ غَصَّ البِارقَاتُ بها	وفي الخِلاخيلِ خَلَقَ غيرُ معصوبِ
تَزْهُو المِحاسِنُ منها وهي ناعمةٌ	بِكُلِّ حِثْلٍ غُذافِ اللونِ غريبِ
صفرِ السِوالفِ من نضخِ العبيرِ بها	تبدو لها عُرٌّ دونِ الجِلايبِ
تُبدي أَكْفًا تصيدُ العاشقينِ بها	منها خضيبٌ ومنها غيرُ مخضوبِ
كأنَّ أفواهاها الإغريضُ إذ بَسَمَتِ	أو أقخوانُ ربيعِ ذي أهاضيبِ
في روضةٍ من رياضِ الحَزْنِ ناعمةٍ	تجري الطَّلالُ عليها بعدَ شُبوبِ

ولعل غزل النابغة أجلّ شأنًا في حضرة الملوك من غزل الأعشى.

يتلاقى الأعشى والنابعة في كثير من الصفات ممدوحِيهم فالأعشى يرى (الأسود بن يعفر) أهل الكرم والشجاعة، عريقًا في المجد، وغزيرًا في العطاء، وشديد النكال يجمع بين الحزم والحذر ويصل الأرحام، ويفكُّ الأسرى، نفسه العزيزة تهونُ من أجل المجد والسمعة الحسنة، فهو يجير من يستجير به، وعقابه شديد غير أن خيره جزيل، فهو يعطي ويهب الإبل الضخمة والإماء والجياد والخمر وآنية الفضة في قوله:

لا تَشْكِي إِلَيَّ وانتجعي الأسد	وَدَ أهلِ الندى، وأهلِ الفِعالِ
فَرَعُ نَبْعٍ يَهْتَزُّ فِي غُصْنِ المَجْدِ	مِدْ غزيرُ الندى شديدُ المِحالِ
عِنْدَهُ الحَزْمُ والتَّقَى وأسا الصَّرِّ	عِ، وحمَلٌ لِمُضَلعِ الأتقالِ
وصلاتُ الأرحامِ قد عَلِمَ النَّا	سُ، وفكُّ الأسرى من الأغالِ
وهوانُ التَّفَسِّ العزيرةُ للذِّك	رِ، إذا ما التَّقَّتْ صُدورُ العِوالِ

رَةٌ كَانَتْ عَطِيَّةَ الْبُخَالِ	وَعَطَاءٌ إِذَا سَأَلْتَ، إِذَا الْعِدُّ
تَ حِبَالٌ وَصَلَتْهَا بِحِبَالِ	وَوَفَاءٌ، إِذَا أُجْرَتْ، فَمَا غُرَّ
مُ زُكُودًا، قِيَامَهُمْ لِلْهَالِ	أُرِيحِي، صَلَّتْ، يَظَلُّ لَهُ الْقَوُّ
طِ جَزِيلاً، فَإِنَّهُ لَا يُبَالِي	إِنْ يُعَاقَبُ تَكُنْ غَرَامًا، وَإِنْ يُعِ
تَانَ تَخْنُو لِدَرْدَقِ أَطْفَالِ	يَهَبُ الْجَلَّةَ الْجَرَاجِرَ، كَالْبَسِ
رِيحٍ وَالشَّرْعَبِيِّ ذَا الْأَذْيَالِ	وَالْبَغَايَا يَرْكُضْنَ أَكْسِيَّةَ الْإِضْ
حَطِّ، تَعْدُو بِشِكَّةِ الْأَبْطَالِ	وَجِيادًا كَأَنَّهَا قُضِبُ الشَّوِّ
ةِ وَالضَّامِرَاتِ تَحْتَ الرَّجَالِ	وَالْمَكَائِكِ وَالصَّحَافِ مِنَ الْفِضَّةِ

والنابغة يرى (يزيد بن عبد الملك) كريماً معطاء، تطلبه الناس، فيطعم ويذبح حتى يكفيهم في المجاعات، فهو أكرم الناس وأجودهم وأسرعهم لفعل الخير، طلق الوجه، عالي الهمة، شجاع لا يثنيه عن عزمه شيء، كريم النسب، تقى يتحلى بالفضائل إذ يقول فيه:

وَلَا يَعُوجُ بِأَصْوَاتِ الْغَرَابِيبِ	إِنَّ الْبَوَارِحَ لَا يَحْبِسْنَ رَحْلَتَهُ
مِنَ الْأَعَاصِي هِجَانٌ خَيْرٌ مَنْسُوبِ	إِنَّ الْخَلِيفَةَ فَرَعٌ حِينَ تَنْسُبُهُ
يُنْمِي إِلَى الْأَبْطَحِيَّاتِ الْمَصَاعِيبِ	كَالْبَدْرِ أْبْلُجٌ عَالِي الْهَمِّ مُخْتَلِقٌ
جَرِي الْمَحَاضِيرِ حُتَّتْ بِالْكَالِيبِ	إِذَا الْمَلُوكُ جَرَتْ يَوْمًا لِمَكْرَمَةٍ
بَدَّ الْعَنَاجِيحَ سَبَقًا غَيْرَ مَضْرُوبِ	جَرِيَتْ جَرِي عَتِيقٌ لَنْ يَكُنْ وَكَلًا
يَكْسُو الْجَفَانَ سَدِيقًا مِنْ ذَرَى النَّيْبِ	سَهْلَ الْمَاءِ يَعْفُو النَّاسَ جَمَّتَهُ
عِنْدَ الْمَجَاعَةِ مِنْ لَحْمٍ وَتَرَعِيبِ	حَتَّى تُصَدَّ الْعَوَافِي بَعْدَ مَا سَبَقَتْ
إِحْيَاءَ غَيْثٍ بِصُوبِ نَفْسِ حَلْبُوبِ	وَأَنْتَ تَحْيِي فَنَامًا بَعْدَ مَا هَمَدَتْ
وَأَجُودَ النَّاسِ جُودًا عِنْدَ تَنْجِيبِ	وَأَنْتَ خَيْرُهُمْ يَوْمًا لِمَخْتَبِطِ

دراسة لغوية نقدية مقارنة لمدحتين عند الأعشى الكبير والنابغة الشيباني

د. فاطمة محمد أمين العمري / د. أفنان عبدالفتاح النجار / د. بسمة أحمد صدقي الدجاني

كما تتقاطع عند الأعشى والنابغة صورة الممدوح في الحرب فهو عند الأعشى لا يخسر حرباً، ويوقع بأعدائه فهو خيرٌ من ألف ألف إذا اشتد الفزع، وقد اجتمعت له عدة القتال والجنود العريق الذي يحمل القبائل على طاعته ويحمل إليهم الموت فيقتل ويأسر ويشرد ثم يوزع الغنائم في قوله:

وَلَقَدْ شَبَّتِ الْخُرُوبُ فَمَا غُمَّ	رُتَ فِيهَا إِذْ قَلَصَتْ عَنْ حِيَالِ
أَنْتَ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ أَلْفٍ مِنَ الْقَوِ	مَ إِذَا مَا كَبَّتْ وَجُوهَ الرِّجَالِ
جَنْدِكَ التَّالِدِ الْعَتِيقِ مِنَ الِ	سَادَاتِ أَهْلِ الْقَبَابِ وَالْآكَالِ
هُوَ دَانَ الرِّبَابِ إِذْ كَرِهُوا الِ	مَدِينِ دِرَاكًا بَغْزُورَةَ وَصِيَالِ
رَبِّ رَفْدٍ هَرَقْتَهُ ذَلِكَ الْيَوِ	مَ وَأَسْرَى مِنْ مَعْشَرٍ أَقْتَالِ
قَسَمَا الطَّارِفِ التَّلِيدِ مِنَ الْغَدِ	حَمِ قَابَا كِلَاهِمَا ذُو مَالِ

وجيش (يزيد) عند النابغة عظيم ذو أصواتٍ مختلفة وخيلُهُ كثيرةٌ الصهيل سريعة الانتشار كالجراد، يسمو بها وينتصر، إذ يفرق بين أعدائه آخذًا بمقدم الرؤوس فتروح الأعداء بين قتلى وهارين وأسرى وسبايا ثم يوزع الغنائم في قوله:

وَحُجْجَلٍ لَجِبٍ جَمِّ صَوَاهِلُهُ	عَوِذٌ يَخُذُ مَتُونِ السَّهْلِ وَاللُّوبِ
تَرَى السَّمَاجِيحَ فِيهِ وَهِيَ مَسْتَقَّةٌ	وَكَلِّ فَحْلٍ طَوَالِ الشَّخْصِ يَعْجُوبِ
تَرْدَى بِشَعَثٍ إِذَا ابْتَلَّتْ رِحَائِلُهَا	بِكَلِّ فَجٍّ مِنَ الْأَعْدَاءِ مَرْهُوبِ
يَسْمُو بِهَا وَيَجِيشُ كَالدَّبَا أَشْبِ	بِكَلِّ هَوْلٍ عَلَى مَا كَانَ مَرْكُوبِ

يزيدُ النابغة في مديحه (ليزيد) على ما مدح به الأعشى (الأسود) بتركيزه على كرم النسب وشرفه، فهو يُلحُّ على هذه القضية ويكررها، وهي متمثلة في الآيات الآتية:

إِنَّ الْخَلِيفَةَ فَرَعٌ حِينَ تَنْسُبُهُ	مِنَ الْأَعَاصِي هِجَانٌ خَيْرٌ مَنْسُوبِ
يَنْمِيهِ حَرْبٌ وَمَرَوَانٌ وَأَصْلُهُمَا	إِلَى جِرَائِمٍ مَجْدٍ غَيْرِ مَأْشُوبِ
نَمَاكَ أَرْبَعَةٌ كَانُوا أُنْمِتْنَا	فَكَانَ مَلِكُكَ حَقًّا لَيْسَ بِالْحُوبِ

بحرٌ نمته بحورٌ غير ساجية تلك المخاصيبُ أبناء المخاصيب
 قومٌ بمكة في بطحائها ولدوا أبناء مكة ليسوا بالأعاريب
 أنت ابن عاتكة الميمون طائرهما أم الملوك بني الغرّ المناحيب
 ولعلّ الأعشى لم يركز على هذه المعاني لأنه ممدوحه (فارسي) وقضية النسب لا
 تشغل الفرس كما هي عند العرب.

كما تحدث النابغة عن حق ممدوحه في الخلافة في قوله:

نماك أربعة كانوا أئمتنا فكان ملكك حقاً ليس بالخوب
 وهذا أمرٌ فرضته طبيعة الحياة السياسية والصراع على الحكم في العصر الأموي.
 أضف إلى ذلك أن النابغة مدح يزيد بالصفات والفضائل والتقوى وهذا من معطيات الدين
 الجديد الذي لا علم لأهل الجاهلية به.

كما أن الأعشى ذكر من صفات ممدوحه ما يختص به الملك الفارسي الذي يعطي
 الضخام من الإبل وكؤوس الخمر والجواري الحسان وهذا مختلف عن أعطيات شيوخ القبائل
 العربية في الجاهلية والخلفاء في الإسلام.^{١٠}

التخلص

لا يجد الأعشى صعوبة في التخلص من موضوعه الأول في الأطلال والديار إلى
 وصف المحبوبة والتغزل بها، إذ الضمير (هي) هو محور الأبيات في الموضوعين فلا يحس
 القارئ أنه انتقل إلى الغزل، إذ يقول:

إذ هي الهَمُّ والحديثُ وإذ تع صى إليّ الأمير ذا الأقوال
 ظبية من طباء وجرة أدماء ءُ تَسَفُّ الكيات تحت الهدال
 لكنه في تخلصه من الغزل إلى وصف الناقة يصرف ذكر الأول ليلتفت إلى الثاني

بقوله:

فاذْهَبِي ما إِلَيْكِ أَدْرَكْنِي الحِدُّ مُم، عَدَانِي عن ذِكْرِكُمْ أشْغَالِي

دراسة لغوية نقدية مقارنة لمدحتين عند الأعشى الكبير والنابغة الشيباني

د. فاطمة محمد أمين العمري / د. أفنان عبدالفتاح النجار / د. بسمة أحمد صدقي الدجاني

وعَسِيرِ أدماءَ حادِرةِ العِي
ن، حُسُوفٍ عَيْرَانَةٍ شِمَالِ

أما تخلُّصه إلى موضوعه الرابع فيظهر براعته، إذ يعرض لتعب الناقة ثم يمنعها من الشكوى إليه ويدفعها إلى الأسود لأنه أهلٌ لذلك بقوله:

لا تشكِّي إليّ وانتجعي الأس
ودَ أهلِ الندى وأهلِ الفعالِ

أما النابغة فقد تخلَّصَ إلى موضوعاتٍ أكثر لكنها لم تُعق قريحته الشعرية؛ إذ تحركت الناقة في الرحلة وحركت الهوداج فكشفت عمَّن فيها وفتحت له هذه الحركة الباب إلى موضوعه الثاني في الغزل، إذ يقول:

زانَ السدولَ عليها الرِّقْمُ إذ حُدِيتُ
بكلِّ زوجٍ من الدِّياجِ محبوبِ

وفي الهوداج أبكارٌ مُنعمَةٌ
مثلُ الدُّمى هجِنَ شوقاً في المحارِبِ

وفي الانتقال إلى الموضوع الثالث يوظف النابغة المفارقة، إذ لا يشمل من كل هذا الجمال الذي يصفه ولكنها الذكرى تشمل فيقول:

كأنني شارِبٌ من ذكرهم نَمِلٌ
لَدَّ يعل بخمر الطاس والكوبِ

لينتقل إلى وصف الخمر ومجلسه وإذ الساقية تصدُّ عن الشيوخ إلى الشباب فتخلصه من ذكر الخمر إلى الحكمة إذ:

يبلى الشبابُ وينفي الشيبُ بهجَتَهُ
والدهر ذو العوص يأتي بالأعاجِبِ

وهذه الحكم المطولة التي يسوقها تلهمه قوله:

وإن رحلت إلى ملك لتمدحه
فارحل بشعرٍ نقي غير مخشوبِ

ليصل إلى قولٍ مخصوصٍ في مديح يزيد بقوله:

وامدح يزيد ولا تظهر بمدحته
وقد أوائلها قوداً بتشبيبِ

يتابعه بعد ذلك بما سبق ذكره من مديح.

النهاية:

أنهى الأعشى قصيدته بيتاً يدعو فيه للممدوح العظيم صاحب الصفات المتميزة بالخلود بقوله:

لن تزالوا كذلكم ثم لا زل
ت لهم خالدًا خلود الجبالِ

وهو في هذا أبلغ في موطن المدح من خاتمة النابغة الذي قطع قصيدته بانتهاه توزيع الغنائم بعد مشهد الحرب بقوله:

غنمٌ يظلُّ إمام الناسِ يقسمها
فبين موهوبةٍ منها وموهوبِ

وإن كانت تدل على دوام النصر وهزيمة الأعداء.

اللغةمستوى الجملة

إنّ للموضوع تأثيراً في تشكيل البنية اللغوية للعمل الأدبي على نحو معين، إذ يستدعي استعمال كلمات ذات طابع خاص، ويقضي خلق مجاوراتٍ ومحاوراتٍ بين الألفاظ^{١١}، ولعل هذا ما تكشف عنه اختيارات كل من الأعشى والنابغة، إذ يقع اختيارهما على الجملة الفعلية لتؤدي معاني القصيدة، فيستخدم الأعشى اثنين وثمانين فعلاً تراوحت بين الماضي والمضارع، في حين استخدم النابغة عشرة ومئة فعل تراوحت أيضاً بين الماضي والمضارع، ووضعت القصيدة في جوٍّ من الحركة المستمرة زادت في قصيدة النابغة عنها عند الأعشى فأعطت انفعالاً أكبر.

التكرار

وظف الشاعران التكرار بشكل ملحوظ في مدحتيهما ففي حين كرر الأعشى سبعة عشر لفظاً تمثلت في:

سؤالي / حلّ / ذا / ميل / ظبية / تعدو / ولا من / لا تشكي إلي / أهل / جبال / حي / هؤلى / ألف / قتال / خيالاً / رعال / حالة.

دراسة لغوية نقدية مقارنة لمدحتين عند الأعشى الكبير والنابعة الشيباني

د. فاطمة محمد أمين العمري / د. أفنان عبدالفتاح النجار / د. بسمة أحمد صدقي الدجاني

كرر النابعة خمسة وعشرين لفظاً تمثلت في:

حُدَيْت / خَضِيب / قَطَاب / شَبَاب / الدَهْر / يَشْد / طَبِي / تَجْرِيَة / مَطِيْع / رَحْل / اَمْدَح / قَد
/ تَنْسِيْبِه / بَحْر / المَخَاصِيْب / مَكَّة / الضَارِبُون / المَلُوك / جَرْت / جَرِيْت / تَحِيْبِي / أَجُود /
سَرَاحِيْب / شَدْت / مَوْهُوبَة.

إنَّ إعادة الألفاظ في سياق القصيدة خَلَقَ أنماطاً تكرارية على المستوى الدلالي نَمَت
بالمعنى حتى أوصلته إلى الحد الذي حَسُنَ عند الشاعرين الوقوف عنده،^{١٢} وإن كانت الأنماط
التكرارية عند النابعة أكثر منها عند الأعشى.

الثنائيات اللغوية

لما كان من النادر أن تترجم واقعة ذهنية ما برمزٍ واحد^{١٣} لم يكتفِ النابعة بتوظيف
الجملة الفعلية والتكرار على مستوى اللغة في سياق مدحتة، فلجأ إلى الثنائيات مستعملاً سبع
عشرة ثنائية ضدية تمثلت في:

(خَضِيب / غير مخضوب)، (قَطَاب / غير مقطوب)، (العذاب / غير مشروب)، (دَاعٍ إلى رشد
/ غَاوٍ)، (ذوي روح / مكروب)، (الشباب / الشيب)، (طبي ثر حالبه / طبي حذاء داوٍ)، (لا
تحمدن / لا تدمن)، (الغلام / ذو الشيب)، (ملئت / تفرغ)، (فبيان / ذوي الشيب)، (بلوى /
فرج)، (ذي مال / محروب)، (مطيع / لا يطيع)، (يُفَضُّ / حُشِد)، (يغضب / غير معضوب)،
(موهوب / موهوبة).

كما استعمل سبع عشرة ثنائية تأكيدية على مستوى المعنى تمثلت في:

(صدعاً / غير مشعوب)، (لم ينظروك / سراعاً)، (ذوو زجل / تطريب)، (يبلى / يفنى)، (نقي /
غير مخشوب)، (حقاً / ليس بالحبوب)، (المخاصيب / أبناء المخاصيب)، (سهل المباءة /
يعفو)، (الضاربون / ضرباً)، (قد / قوداً)، (جرت / جري المحاضير)، (جريت / جري عتيق)،
(تحبي / إحياء)، (أجود / جوداً)، (شُدَّت / شدّاً)

إن هذه الثنائيات تورث القصيدة توازياً على مستوى العناصر يحتفظ بحركة دائمة وتواصل نفسي مع المتلقي عند النابغة، يحقق الأعشى شيئاً منه لكنه لا يصل إلى مستوى النابغة في ذلك، إذ يستعمل الأعشى ست ثنائيات ضدية تمثلت في:
(ريح الصبا / ريح الشمال)، (التأق / الأوشال)، (ادلج / تهجير)، (قف / سيسب)، (حل / ارتحال)، (كثير / اقلال).

ولا نقع عنده على ثنائيات تأكيدية كما هي عليه عند النابغة.

الإيقاع

إنّ توازي العناصر اللغوية في الأنماط التكرارية والثنائيات اللغوية الضدية والتأكيدية تحدث توازناً صوتياً يشكل أساس الإيقاع^٤. والبنية الفعلية وما فيها من تراوح زمني ترفد الإيقاع بحركتها وفعاليتها.

لذا فإن في القصيدتين بنية إيقاعية زائدة على المستوى العروضي، معتدلة عند الأعشى، طاغية عند النابغة الذي يكتف من ثنائياته لتستمر قصيدته بنغم صاعد وإحساس يرتفع بالانتقال من موضوع لآخر، لعله يعكس أمل الشاعر في لقاء ممدوحه.

الخاتمة:

وبعد، فإن همة هذه الدراسة أن تكشف اختلاف المديح في العصر الأموي عنه في الجاهلي، من خلال قصيدتي الأعشى والنابغة. وقد وجهت كل منهما إلى ملك ذي شأن وتعددت موضوعاتها حتى وصلنا إلى أعتاب الممدوح.

والحق أن المديح ظل تعداداً للصفات المثالية التي ينبغي أن يكون عليها الممدوح فهو كريم شجاع شريف النسب لا يطاول في الحرب، اجتمعت له أسباب السيادة عند كليهما. غير أن خصوصية الملك الفارسي جعلت الأعشى يحدث بعطاياه المميزة، واختلاف الزمان والثقافة الجديدة بالإضافة إلى الصراع السياسي دفعت النابغة إلى ذكر بعض الصفات الدينية والتشديد على كرم النسب وأحقية الممدوح في الملك.

دراسة لغوية نقدية مقارنة لمدحتين عند الأعشى الكبير والنابغة الشيباني

د. فاطمة محمد أمين العمري / د. أفنان عبدالفتاح النجار / د. بسمة أحمد صدقي الدجاني

وقد حشد كلٌّ منهما لموضوعه من طرائق التعبير، وفنون القول ما انماز في بعضه وشابه صاحبه في بعضه الآخر، وقد تبين ذلك.

هوامش البحث:

١. وقد اختلف في سبب هذه التسمية انظر: إبراهيم عبد الرحمن، الشعر الجاهلي، مكتبة الشباب المنيرة - مصر، ٣٨٩ - ٣٨٠.
٢. انظر: ديوانه، شرح وتعليق: محمد محمد حسين، مكتبة الآداب، مصر، المقدمة
٣. انظر: مقدمة ديوانه، تحقيق: مهدي ناصر الدين، دار الكتب العلمية، بيروت.
٤. انظر: مقدمة ديوانه، تحقيق محمد محمد حسين.
٥. انظر: مقدمة ديوانه، مطبعة دار الكتب المصرية.
٦. انظر: نزيه أحمد طه، شعر شيبان في الجاهلية والإسلام. ر.ج، ٢٤٢ - ٢٥٨.
٧. انظر: مقدمة ديوانه، تحقيق: قدرى مايو
٨. انظر: الأعلم الشنمري، أشعار الشعراء الستة الجاهليين، ص ١٩٤.
٩. انظر في مناسبة المقدمة الطللية لموضوع القصيدة: حسين عطوان، مقالات في الشعر ونقده، ط ١، دار الجيل، لبنان، ١٩٨٧ - ص ١٢ - ١٣
١٠. انظر: عمر شرف الدين، الشعر في ظل المناذرة والعاسافة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٧، ص ٤٣ - ٤٤.
١١. انظر: عدنان حسين قاسم، الاتجاه الأسلوبى البنيوي في نقد الشعر العربي، مؤسسة علوم القرآن بعجمان ودار ابن كثير بدمشق، ط ١، ١٩٩٢، ص ١٥٨.
١٢. انظر: محمد عبد المطلب، البلاغة والأسلوبية، مكتبة لبنان ناشرون، ط ١، ١٩٩٤، ص ٣٠٠.

١٣. انظر: شارلي بالي، علم الأسلوب وعلم اللغة العام، في شكري عياد اتجاهات البحث الأسلوبي، دار العلوم، ١٩٨٥، ص ٢٥.

١٤. انظر: عدنان قاسم، الاتجاه الأسلوبي البنيوي، ص ٩٠.

المصادر والمراجع

- د. إبراهيم عبد الرحمن، الشعر الجاهلي، مكتبة الشباب، المنيرة - مصر.
- الأعرشي، الديوان، تحقيق: محمد محمد حسين، مكتبة الآداب، مصر
- الأعرشي، الديوان، تحقيق: مهدي ناصر الدين، دار الكتب العلمية، بيروت.
- الأعلام الشنتمري، أشعار الشعراء الستة الجاهليين، د. معلومات.
- د. حسين عطوان، مقالات في الشعر ونقده، دار الجبل - لبنان
- شارلي بالي، علم الأسلوب وعلم اللغة العام في: شكري عياد: اتجاهات البحث الأسلوبي، دار العلوم - مصر.
- د. عدنان حسين قاسم، الاتجاه الأسلوبي البنيوي في نقد الشعر العربي، مؤسسة علوم القرآن بعجمان ودار ابن كثير بدمشق.
- د. عمر شرف الدين، الشعر في ظل المناذرة والغساسنة، الهيئة المصرية العامة للكتاب - مصر.
- د. محمد عبد المطلب، البلاغة والأسلوبية، مكتبة لبنان ناشرون - لبنان.
- النابغة الشيباني، الديوان، مطبعة دار الكتب المصرية - مصر.
- نزيه أحمد طه، شعر شيبان في الجاهلية والإسلام، ر.ج.